دور الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في بناء المجتمع الاسلامي

م.د. رشيد احمد مختار فريد العباسي

كلية التربية للبنات– جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: دور ،الرسول الاعظم ،بناء المجتمع

الملخص

هذا البحث يسلط الضوء على دور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بناء المجتمع الإسلامي، بدراسة بعض الشواهد التاريخية، واشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاجتماعي.

المبحث الثاني: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء السياسي.

المبحث الثالث: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاقتصادي

وتوصل البحث إلى بعض النتائج منها: دور الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في وضع الأطر الفكرية والأخلاقية للمجتمع الإسلام.

وضع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أول لبنة في البناء الاجتماعي عندما حقق التآخي والتآلف في مجتمع المدينة، وحقق البناء الاجتماعي في المعاهدة التي عقدت بين المسلمين وأهل المدينة من اليهود والمشركين.

كان لبناء دولة الإسلام في المدنية أهميته في تأسيس قاعدة للمسلمين، والدفاع عنها وعن مكتسباتها، والتصدي لمصادر الخطر التي تقوض الأمن والسلام فيها، ومواجهة الحرب الاقتصادية التي شنت على المسلمين، وبالتالي الانتقال إلى مرحلة متقدمة تمثلت بضرب اقتصاد العدو. عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على القضاء على البطالة، والحث على العمل، وحقق التكافل الاجتماعي.

كان للبعد الأخلاقي في تحصيل الموارد المولية لدولة الإسلام تجربة رائدة غير مسبوقة، فالنظام الاقتصادي الإسلامي نجده نظاماً متكاملاً زاخر بعوامل الاستقرار الاقتصادي، ويزرع في النفوس حب العمل المثمر، والحفاظ على هذا المال من السرف والترف.

المقدمة

لقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والمتتبع لسيرة هذا الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) يجد آثاره الملهمة في كل صغيرة وكبيرة، بدءاً من العناية بصحة الإنسان الشخصية، وانتهاءً ببناء دولة الإسلام.

إن إسهام الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) ليس مجرد دعوى، بل حقيقة تؤكدها عشرات الشواهد التاريخية، هذا البحث الموسوم (**دور الرسول الأعظم في بناء المجتمع الإسلامي**) يسعى إلى تقديم بعض الشواهد التاريخية على عظم هذا الدور، وأن التجارب النبوية كانت وما زالت خير معين على استنباط الدروس التي نحن بأمس الحاجة إلى استلهام الروح العبقرية منها، وأن هذه التجارب قادرة في حال التأسي بها على الإسهام في بناء دولة مكينة في كل زمان ومكان.

واشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاجتماعي.

المبحث الثاني: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء السياسي.

المبحث الثالث: دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاقتصادي

ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاجتماعي

يرتبط البناء الاجتماعي لأي دولة بعدد من الفعاليات التي تعزز هذا البناء، وهذا البناء على العموم يتحقق "بالاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للفرد، مما يحفظ له وجوده وكيانه، ويحفظ توازنه العاطفي والنفسي، وبالتالي ارتباطه وتعلقه بأسرته وما تحمله من قيم ومبادئ وعلاقات واهتمامات اجتماعية إيجابية؛ تجعل حياة الفرد مستقرة وهانئة "[1].

لقد وضع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أول لبنة في البناء الاجتماعي عندما حقق التآخي والتآلف في مجتمع المدينة، وخير شاهد على ذلك ما رواه عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قَالَ: ((لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ

سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلاَّ وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَهْيَمْ»[2]، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ)) [3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: ((قَالَتِ الأَنْصَارُ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ، قَالَ: «لاَ» قَالَ: «يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا))[4].

وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)، قال: ((إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) آخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ)) [5]

وقيل لأنس بن مالك (رضي الله عنه): ((بلغك أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: لا حلف في الإسلام؟، فقال أنس: قد حالف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بين قريش، والأنصار في داره))[6].

إن المؤاخاة حصلت في السنة الأولى من الهجرة الشريفة واختلف في تاريخ ذلك، فقيل بعد قدوم النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المدينة بخمسة أشهر وهو يبني المسجد، وقيل بعده، وقيل قبله[7]. وقيل: بعد ثمانية أشهر[8].

وقد آخى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بين المهاجرين والأنصار، فعقدوا عقد الموآخاة والمعاونة والمؤاساة وكتبوا فيه كتاباً وكان ذلك في دار أنس بن مالك (رضي الله عنه)[9]، وفي رواية كان ذلك في المسجد[10].

قال الديار بكري: " وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، والتأم شمل الحيين الأوس والخزرج ببركة النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعدما كان بينهما أمور عظام ومخالفات كثيرة "[11]. وبهذه المؤاخاة زادت وحدة المسلمين توكيداً[12].

وكان الأنصار يتنافسون في إنزال المهاجرين واستضافتهم في بيوتهم[13]، وقد أثنى عليهم الله تعالى بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[14].

" وهكذا أصبح مجتمع المدينة في زمان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إخوة متحابين متعاهدين متكاتفين بعد أن آخى بينهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذه منقبة كبيرة للمدينة وأهلها "[15]، وهذا النجاح عائد إلى " الأرضية التي أقيمت عليها، والقيادة التي خططتها ونفذتها، استكملتا كل شروط النجاح في

مجتمع شاب يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ "[16].

إن هذا المجتمع كان قوياً متماسكاً، محافظاً على وحدته، فحري أن يتحقق الأمن فيه، فقد ارتفع الصحابة (رضي الله عنهم) فوق الأطماع الدنيوية التي تؤدي غالباً إلى التناحر والاختلاف، يقول ابن حجر: " إن بعض المهاجرين والأنصار كان أقوى من بعض المال والعشيرة والقوة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى "[17].

لقد أكد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بتلك الأخوّة وحدة الهدف والغاية فيما بين المسلمين، بحيث لا يحبّون ولا يكرهون ولا يرضون ولا يغضبون إلاَّ للّه وفي سبيل اللّه، وأراد من كلّ فرد أن ينظر للآخر كما ينظر لأخيه، فيحسّ بإحساسه وآلامه وأفراحه ويشاركه في السراء والضراء.

وأن المغزى الدقيق لهذا التآخي يدل على حكمة النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعمق تفكيره، فالمهاجرون قد نزلوا ضيوفاً على قوم لا يرتبطون بهم بأيّ من الروابط التي كانت تشدّ العرب بعضهم لبعض، والأوس والخزرج سكان المدينة بينهم حروب وثارات قديمة، وكانت المعارك تنشب فيما بينهم بين الحين والآخر لأتفه الأسباب.

كما أنَّ الوافدين إلى المدينة قد تركوا كلّ شيء وراءهم في مكة، وأكثرهم كانوا لا يملكون قوت يومهم، فتركت تلك المؤاخاة إحساساً في نفوس الأنصار تجاه إخوانهم الوافدين، فآثروهم على أنفسهم، ووفروا لهم وسائل العمل المنتج، وأصبح الكثير منهم في بضع سنوات معدودات في مصاف غيرهم من سكان المدينة الأثرياء، وقد أدخل الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بذلك مبدأ التكافل الاجتماعي والاقتصادي في الأزمة المعيشية التي اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة، ونظم علاقاتهم الاجتماعية بإخوانهم الأنصار[18].

لقد تلقى الأنصار أوامر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بفرحٍ عميق، وفتحوا قلوبهم ودورهم لرفاقهم في العقيدة، وأنَّ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما تحوّل من بني عمرو بن عوف في قباء إلى المدينة، تحوّل أصحابه من المهاجرين، فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم، حتّى اقترعوا فيهم بالسهمان، فما نزل أحدٌ منهم على أحد إلاَّ بقرعة سهم، كما أعلن الأنصار أنَّهم يهبون الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كلّ فضل في خطط بلدهم، وقالوا له: إن شئت فخذ منا منازلنا، فقال لهم خيراً وخطّ لأصحابه في كلّ أرض ليست لأحد أو موهوبة من الأنصار[19].

لقد كان الإخاء تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي، ضرب الرسول (صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيه مثلاً على مرونة الإسلام وانفتاحه في الظرف المناسب على أشدّ أشكال العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلاً.

لقد ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية[20].

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دُوِّنت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملًا يرتبط بالدماء والأموال، لا كلامًا يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر[21].

ويدخل في مجال البناء الأمن الاجتماعي، ما سبق الإشارة إليه من عقد المعاهدة بين المسلمين وأهل المدينة من اليهود والمشركين، وهذا الأمر هو " أهم ما قام به النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مما يتعلق بالقيمة الدستورية للدولة الجديدة[22].

المبحث الثاني

دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء السياسي

لم تكن ولادة دولة الإسلام في المدينة المنورة ولادة طبيعية، أسوة بغيرها من الدول، فقد ولدت في وسط أجواء عدائية، وقوى قاهرة تتحين الفرص للبطش بها، ولم يكن الرعيل الأول الذي وضع لبناء دولة المدينة من مقومات بناء الدول إلا الإيمان، والإيمان فقط، والذي وجد له فسحة في أرض المدينة التي كانت قاعدته الآمنة، والتي حلم فيها المسلمون بإقامة شعائرهم الدينية بأمان، ولم يكن في نية المسلمين التوسع أو مد النفوذ إلى خارج أسوار المدينة المنورة.

ولكن من ناحية أخرى؛ فإن مقومات البناء السياسي تقتضي الدفاع عن هذا المكسب الذي تحقق للمسلمين، والتصدي إلى محاولة لتقويضه أو تعريضه للخطر، وعلى الرغم من المعاهدة التي أسرى قواعدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أهل المدينة ومع اليهود القاطنين فيها، إلا أن هؤلاء لم يتمسكوا بالميثاق الذي عقدوه، إذ سارعوا إلى نقضه بشتى الوسائل، وسعوا إلى معاداة المسلمين، والوقوف إلى جانب أعدائهم.

وأول بادرة عدائية تمثلت بزيارة وفد من اليهود لمكة من أجل التآمر على

الإسلام، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: ((لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ مَكَّةَ أَتَوْهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هَذَا الصُّنَيْبِيرُ الْمُنْبَتِرُ مِنْ قَوْمِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[23]، وَنَزَلَتْ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** ﴾ [24])) [25].

وفي العام الثالث من الهجرة، غدر بني قينقاع بالمسلمين، وكان عاقبة هذا العداء إخراجهم من المدينة[26]، ثم أخرج يهود بني النضير بعد معركة أحد ، ثم إجلاء بني قريظة لخيانتهم[27]، وبزوال الوجود اليهودي تحققت خطوة مهمة على طريق بناء دولة الإسلام، إذ تخلصوا من العدو الكامن بينهم.

ولما كانت قريش مصدر خطر دائم للمسلمين، وقد أكدت الحروب التي خاضتها مع الدولة الإسلامية هذه الحقيقة، فكان لا بد من أجل تحقيق البناء السياسي لهذه الدولة من مهاجمة وكر الشر في عقر داره، فكان فتح مكة الذي كان وراء انتشار الإسلام في جزيرة العرب وما حولها، ومهد لانتشار الإسلام في العالم أجمع. "وكان لفتح مكّة أثر عميق في نفوس العرب، فشرح الله صدر كثير منهم للإسلام، وصاروا يدخلون فيه إرسالاً. وكانت عدّة قبائل بينها وبين قريش حلف، وكانت ممتنعة عن الدخول في الإسلام لمكانة هذا الحلف. وكانت قبائل ترهب قريشا وتجلّها، فلما رأتهم استسلموا للإسلام ورغبوا فيه زال الحاجز. وكانت قبائل تعتبر مكّة لا يفتحها ولا يدخلها ملك جبّار أو من يريد لها سوءا، ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل، وشاهد ما فعل بأبرهة، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنّه إن ظهر عليهم فهو نبيّ صادق. فلمّا فتح الله لنبيّه مكّة، وخضعت قريش للإسلام طوعاً أو كرهاً، أقبل العرب على الإسلام إقبالاً لم يعرف قبل ذلك، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا "[28]. وبهذا تحقق البناء السياسي لدولة الإسلام.

المبحث الثالث

دور الرسول الأعظم في تحقيق البناء الاقتصادي

لقد كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) دوره الكبير في البناء الاقتصادي عبر ثلاثة محاور متسلسلة، تمثلت في مواجهة الحرب الاقتصادية التي شنت على المسلمين، وفي بناء قاعدة اقتصادية متينة وراسخة، وبالتالي ضرب اقتصاد العدو.

استخدم المشركون الحصار الاقتصادي ضد المسلمين في مكة بعد أن باءت كل محاولاتهم لمنع هذا الدين من الانتشار،" فلما رأت قريش أن الإسلام يفشو

وينتشر اجتمعوا فتعاقدوا، على بني هاشم وأدخلوا معهم بني المطلب، ألا يكلموهم ولا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم. واجتمع على ذلك ملؤهم، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في الكعبة. فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم، فصاروا في شعب أبي طالب محصورين مبعدين مجتنبين، حاشا أبا لهب وولده؛ فإنهم صاروا مع قريش على قومهم، فبقوا كذلك ثلاث سنين إلى أن جمع الله قلوب قوم من قريش على نقض ما كانت قريش تعاقدت فيه على بني هاشم وبني المطلب "[29].

وواجه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والمسلمون هذا الحصار بالصبر والثبات، وقد أدى تمادي قريش إلى انتفض أصحاب الغيرة والنخوة للوقوف إلى جانب المظلومين، وخرجت قريش من هذه التجربة محملة بالخزي والعار.

ومن ناحية أخرى أدرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن البناء الاقتصادي لدولة الإسلام لن يتحقق بالأماني، بل ببناء قاعدة اقتصادية قوية، وقد تحقق هذا الأمر عبر جملة خطوات مهمة، من أهمها:

القضاء على البطالة، والحث على العمل، كقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بَهِيمَةٌ إلا كان له بِهِ صَدَقَةٌ»[30]، وهذا الأمر من شأنه وضع أحد الركائز المهمة لاقتصاد الدولة، وتوفير القوة المالية لها، فضلاً عن إسهام العمل في تعزيز البناء الاقتصادي.

كما حقق النظام المالي الإسلامي التكافل الاجتماعي، عبر إيجاب الزكاة، والحث على الصدقة، والإحسان للآخرين، ومساعدة المحتاجين، فضلاً عن نظام الكفارات والوقف وغيرها من وسائل أسهمت في رفد الدولة الفتية بالمقومات والموارد المالية، وأن البعد الأخلاقي في تحصيل هذه الموارد كان تجربة رائدة غير مسبوقة، فالمسلم يقدم ما يقدمه من أموال عن طيب نفس، فهو يهدف بهذا مرضاة الله تعالى، فالزكاة مثلاً يدفعها بطيب نفس قربة لله، وليست كالضرائب المفروضة على المواطنين في القوانين الوضعية.

وأسهمت هذه الموارد بمساعدة الفقراء والمحتاجين، وفي رفد الدولة بالعطاء عند الحاجة، وتجهيز الجيوش، وصد العدوان، وفي إمداد الفقراء إلى حد الكفاية[31].

والمتتبع لنظام الإسلام الاقتصادي يجده نظاماً متكاملاً زاخر بعوامل الاستقرار الاقتصادي، ويزرع في النفوس حب العمل المثمر، والحفاظ على هذا المال من السرف والترف.

وفي المقابل علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أعداءه لن يتركوه ينبي دولته من دون مضايقات اقتصادية، لذلك جابه العدو بذات أساليبه، وكان في المقدمة من هذا إضعاف قريش، والحد من نشاطها الاقتصادي، وقد تمثل هذا بالتعرض لقوافلهم المتاجرة مع بلاد الشام، لمرورها بالقرب من المدينة المنورة،

عن جابر (رضي الله عنه) قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثَلاَثَ مِائَةٍ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الجَيْشُ جَيْشَ الخَبَطِ، فَأَلْقَى لَنَا البَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا العَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ، فَنَصَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ، قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ فَنَصَبَهُ وَأَخَذَ رَجُلاً وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ، قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ وَكَانَ عَمْرٌو يَقُولُ: أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ لأَبِيهِ: كُنْتُ فِي الجَيْشِ فَجَاعُوا، قَالَ انْحَرْ، قَالَ: نَحَرْتُ، قَالَ: ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ: انْحَرْ، قَالَ: نَحَرْتُ، قَالَ: ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ انْحَرْ قَالَ: نَحَرْتُ، ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ: انْحَرْ، قَالَ: نُهِيتُ)) [32]. وهذه السياسة أربكت قريش وأضرت باقتصادها.

وهذه السرايا الأولى إنما قصد بها إفهام قريش أن مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع المسلمين من أهلهم الذين اضطّروا إلى الجلاء عن مكة بسبب ما عانوا من الاضطهاد تفاهما يقي الطرفين شرور العداوة والبغضاء ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى الدين، ولأهل مكة سلامة تجارتهم في طريقها إلى الشام، فإذا أيقنت قريش تعرّض هذه التجارة للخطر آتياً من أبنائها من الذين هاجروا إلى المدينة دعاها ذلك إلى التفكير في التفاهم معهم تفاهماً طمع المسلمون في أن يكفل لهم ما كانوا يطمحون إليه من حرية الدعوة إلى دينهم، ومن حرية الدخول إلى مكة والطواف ببيتها العتيق. ولم يكن مثل هذا التفاهم ممكناً ما لم تقدر قريش قوة المهاجرين من أبنائها على الإيقاع بها، وإيصاد طريق التجارة في وجهها[33].

كما كان لاندفاع الصحابة (رضي الله عنهم) في دعم دولتهم أثره البالغ في نجاح السياسية الاقتصادية، ومن شواهد ذلك أنه لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ المُسْلِمِينَ»[34].

وقال (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فحفرها عثمان.

وقال: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فجهزه عثمان [35].

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يشرب منه أحد إلا بثمن، فلما قدم المعمرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بِمُدّ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «تبيعها بعين في الجنة»؟ فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان (رضي الله عنه) فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «نعم»، قال: قد جعلتها للمسلمين[36].

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أوجز أهم ما جاء فيه:

1. كان للرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) دوره، الذي لا تفيه الكلمات حقه، وقد كان لأقواله وأفعاله وتقريراته أثرها البالغ في بناء الإسلام ودولتهم.
2. من الشواهد على دوره (صلى الله عليه وسلم) في بناء المجتمع الإسلامي، وقد ظهر هذا الأثر في ثلاثة محاور جرى اختيارها: البناء الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي.
3. أرسى (صلى الله عليه وسلم) قواعد هذا البناء، ووضع أطره الفكرية والأخلاقية، فكانت المحبة والإيمان قوام هذه الدولة التي حققت السمو الروحي، والرقي الحضاري.
4. وضع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أول لبنة في البناء الاجتماعي عندما حقق التآخي والتآلف في مجتمع المدينة.
5. ومن مجالات تحقيق البناء الاجتماعي المعاهدة التي عقدت بين المسلمين وأهل المدينة من اليهود والمشركين.
6. من مقومات البناء السياسي التي أرساها النبي (صلى الله عليه وسلم) بناء دولة الإسلام في المدنية، والدفاع عنها وعن مكتسباتها، والتصدي لمصادر الخطر التي تقوض الأمن والسلام فيها.
7. واجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحرب الاقتصادية التي شنت على المسلمين، وبالتالي الانتقال إلى مرحلة متقدمة تمثلت بضرب اقتصاد العدو.
8. عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على القضاء على البطالة، والحث على العمل، وحقق التكافل الاجتماعي، عبر إيجاب الزكاة، والحث على الصدقة، والإحسان للآخرين، ومساعدة المحتاجين، فضلاً عن نظام الكفارات والوقف وغيرها

من وسائل أسهمت في رفد الدولة الفتية بالمقومات والموارد المالية.

9. كان للبعد الأخلاقي في تحصيل الموارد الموالية لدولة الإسلام تجربة رائدة غير مسبوقة، فالنظام الإسلام الاقتصادي يجده نظاماً متكاملاً زاخر بعوامل الاستقرار الاقتصادي، ويزرع في النفوس حب العمل المثمر، والحفاظ على هذا المال من السرف والترف.

10. إن الشواهد التي قدمها البحث إنما هي غيض من فيض، والقصد منها الإشارة الجلية إلى عظم الدروس التي يمكن استنباطها من التجربة النبوية سواء في بناء المجتمع أو في تكوين شخصية الفرد.

الهوامش:

(1) علم الاجتماع الأمني- الأمن والمجتمع، عصمت عدلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م: 138.

(2) مهيم: أي: ما حالك وشأنك وما خبرك. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، 1384هـ-1964م: 191/2.

(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ: كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار، 1378/3، رقم (3569).

(4) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار، 1378/3، رقم (3571).

(5) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، 1960/4، رقم (2528).

(6) المصدر نفسه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، 1960/4، رقم (2529).

(7) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين عليّ بن أحمد السمهودي (ت911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1404هـ- 1984م: 267/1.

(8) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، تحقيق عليّ محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ- 1994م: 16/4.

(9) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، 1960/4، رقم (2529)؛ البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، دار المعارف، بيروت، بلا تاريخ: 320/2.

(10) المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت245هـ)، رواية أبي سعيد بن الحسين السكري (ت275هـ)، اعتنت بتصحيح الكتاب الدكتورة ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بلا تاريخ: 71.

(11) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري (توفي بحدود سنة 966هـ)، المطبعة الوهبية، مصر، 1283هـ: 353/1.

(12) حياة محمد صلى الله عليه وسلم: محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط13، 1968م:223.

(13) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، صفي الرحمن المباركفوري، مطابع الحميضي الرياض، ط1، 1424 هـ: 158.

(14) سورة الحشر: الآية 9.

(15) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط25، 1426هـ: 210-211.

(16) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن جدة ط2، 1415هـ- 1994م: 14/2.

(17) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ- 1960م: 271/7.

(18) فقه السيرة: 92.

(19) حياة الصحابة، محمد يوسف الكان دهلوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م: 364/1.

(20) فقه السيرة: 213.

(21) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت1427هـ)، دار الهلال، بيروت، 2006م: 180.

(22) فقه السيرة: 192.

(23) سورة الكوثر: الآية 3.

(24) سورة النساء: الآية 51.

(25) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت310هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، 1420هـ- 2000م: 330/30؛ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت354هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ- 1993م: 435/14، رقم (6572).

(26) زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، ط 27، 1415هـ- 1994م: 79/2؛ فتح الباري: 330/7.

(27) دلائل النبوة، أبو نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت430هـ)، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ- 1986م: 490؛ دلائل

النبوة ومعرفة صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ: 180/3؛ الدرر في اختصار المغازي والسير، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت463هـ)، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403هـ: 165؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشافعي اليعمري الأندلسي المصري، المعروف بابن سيد الناس (ت734هـ)، دار القلم، بيروت، 1414هـ- 1993م: 70/2.

(28) السيرة النبوية، أبو الحسن عليّ بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي (ت1420هـ)، دار ابن كثير، دمشق ط12، 1425هـ: 462/1.

(29) الدرر في اختصار المغازي والسير: 53. وينظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار (ت151هـ)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1398هـ- 1978م: 162/1.

(30) صحيح البخاري: كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، 817/2) برقم (2195)؛ صحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، (1188/3) برقم (1552).

(31) الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط4، 1997م: 1790/3 - 1791.

(32) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، وهم يتلقون عيرا لقريش، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، 1585/4، رقم (4103).

(33) حياة محمد: 160 - 161.

(34) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1395هـ- 1975م: 5/ 267، رقم (3703)، وقال: "هذا حديث حسن ".

(35) صحيح البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، 4/ 13، رقم (2778)

(36) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت360هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ- 1983م: 2/ 41، رقم (1226).

The role of the Great prophet,may god bless him and grant him peace In building an islamic society

M.D. Rashid Ahmed Mukhtar Farid Abbasi
University of Baghdad / College of Education for Girls
rashidfareed66@gmail.com

Keywords: the role of the Great Messenger, building society

Summary:

This research shows prophet Muhammad (peace be upon him)'s role in building Islamic society ,in addition to studying some historical evidences ,this research contains three researches:

~first research :great prophet's role in accomplishing social building.

~second research :great prophet's role in accomplishing political building.

~third research :great prophet's role in accomplishing economical building.

Some of the feedback this research have cleared:

Prophet's role (peace be upon him) in adding the intellectual and moral frames to Islamic society. The prophet(peace be upon him) had added the first base in social building when he achieved harmony and brotherhood in Al-medina's society ,and achieved social building in the contract that have been made between Muslims and medina's people from Jewish and Polytheists. The building of Islamic country in Al-medina was important in establishing a base for Muslims ,and standing for it and its gains ,and to stop the danger sources that mess with the peace in it ,and facing the economical war that bursted against the Muslims and by that it moved into an advanced stage by ruining the enemy's economy.

The prophet worked on destroying the unemployment, and worked on the induction into work and accomplished social solidarity .the moral side in getting money sources was one of a kind experience ,and the Islamic economical system finds it a great system full of stable economic factors and plants the love of full job work in the spirits and to keep this money from profusion